الجدار بين بنية القصد واليات الكتابة في العمارة

م .د.عبد الله سعدون سلمان	أ.م.د عباس علي حمزة	م.م لهيب علي الصائغ
الجامعة التكنولوجية	الجامعة التكنولوجية	الجامعة التكنولوجية
قسم الهندسة المعمارية	قسم الهندسة المعمارية	قسم الهندسة المعمارية

المستخلص :-

ان البحث الحالي يحاول سبر اغوار العلاقات الدلالية المتولدة نتيجة تبني اليات كتابية ذات قصدية معينة على اللوحة (الجدار) كونها وسيلة عرض النص المعماري الذي يتسم بالتراكمية الدلالية باعتبارها آثار وأن النص المعماري هو كتابة لموضوع ما وليس إلصاق صور الماضي والموروث ، ليؤسس البحث الى بنية مفاهيمية تفترض وتقوم على ان الجدار ليس فاصلا فيزيائيا بين داخل الفضاء وخارجه وانما جسرا حواريا بين المصمم ومرجعياته الفكرية من جهة والذاكرة الجمعية للمتلقين في سياق مجتمعي محدد من جهة اخرى ، حوارا يعكس تحولا في مفهوم الكتابة التراكمية نفسه، ويبتعد عن تجميع صور الماضي المعتمد على بنية التشابه الظاهرية بين المفردات، إلى نص معماري يعتمد على بنية الاختلاف، والتعامل مع النصوص السابقة كآثار تفتح مجال الحوار والتأويل المتعدد من قبل المتلقي، مما يؤدي إلى تعدد القراءات وبذلك يبتعد الجدار عن التكرار المتطابق السهل للنصوص السابقة باتجاه عمارة ناطقة وان اختلفت لغاتها بأختلاف مصمميها وانساقها التي تولد فيها .

ABSTRACT :

The current search trying to study deeply the semantic relations generated from the adoption of mechanisms written with a certain intent on the board (the wall), as a means of displaying architectural text which is of semantically cumulative as it described as a traces .Where the Architected text is the writing about a topic not attaching pictures of the past and heritage. To establish by the search the structure of conceptual and assume to that a wall is not physically dividing line between inside and outside of the space but dialogue bridge between the designer and his intellectual reference at one side and the collective recipient's memory in the context of a specific community in the other side, A dialogue reflected the change in the conceptual of cumulative written, and be far away from attaching pictures of the past which based on the structure similarity between the virtual vocabulary, toward the architected text depends on the structure of the difference, deals with the previous text as a traces opened a dialogue and multi-interpretation by the receiver, and then leading to a multiplicity readings and thus away from the wall for easy repetition mirroring the previous texts towards the speaking building in spite if a different languages for depending on designers and formats that generate them.

حقوق النشر والطبع للمجلة العراقية لهندسة العمارة - قسم هندسة العمارة - الجامعة التكنولوجية

المقدمة :-

قد تصبح بعض التعبيرات مفاهيم نقدية عندما تشحن بطاقة من التأويل. فكلمة جدار، الدالة على " الهوية" الفنية تعني اللوحة، ذلك الوجه الذي يقابلك وتقابله، ينظر إليك كما تنظر إليه، ويقرأ أفكارك كما تقرأه. عندئذ تخرج كلمة الجدار من إطارها التعريفي العام- الحائط- إلى إطار المكان الذي يحمل هوية للفن الناطق عمارة كان ام تشكيلا ام شعرا . ولم يرد في قواميس اللغة ما يفيد ذلك سوى بعض المفاهيم المجازية للجدار . فالجدار في معناه الفني ذو بعد واحد تضع عليه تصوراتك فيبدو عميقا بها، ولأن الجدار مشاع ترتبط العلاقة معه بروابط ثقافية. فهو المرآة التي تعكس صوراً للأشياء المبهمة تلك المرتبطة بالتاريخ او الموروث او العقائد باختلاف سياقاتها والتي يجد المنتج في هذه الصور مناهلا لافكاره التي يريد التعبير عنها ، واذا كانت العمارة كالنص، والعملية التصميمية تعتمد على الكتابة ، وان فكرة الآثار، والتي تمثل حضور النصوص الغائبة بالاعتماد على بنية الاختلاف بين النصوص المتعالقة استنادا إلى فكرة الأصل والأثر وارتباطها بفكرة الحضور والغياب المرتبطة بالبنية القصدية للمصمم ، فأن النص الجديد يتكون من كتابة آثار النصوص السابقة، وهكذا يمكن أن يكون القاسم بين العمارة والشعر هو تلك العلاقة المتفاعلة بين الموضوع والذات.مع اعتبار غلبة العمارة في عكس العالم الفكري من خلال الواقع الموضوعي أكثر من الشعر،أو ربما تكون العمارة ممارسة تكرس فيها الموضوعية أكثر من الذاتية والتعبيرية بالمقارنة مع الشعر

عليه فان البحث الحالي يحاول سبر اغوار العلاقات الدلالية المتولدة نتيجة تبني اليات كتابية ذات قصدية معينة على اللوحة – الجدار وسيلة عرض النص المعماري الذي يتسم بالتراكمية الدلالية باعتبارها آثار وأن النص المعماري هو كتابة لموضوع ما وليس إلصاق صور الماضي والموروث.

الجدار والارث المجتمعي

المنظومة الارثية :-

تتأسس المجتمعات على العقد الاجتماعي الاشاري الذي يرمي الى إعطاء معنى للعلاقات بين الناس والمجتمع ونظام من العلاقات بين الأفراد.فالعلامات واللافتات والأزياء تحدد الانتماء الى فئة اجتماعية ،عشيرة ،عائلة، ولذا كانت الشعائر والاحتفالات والأزياء عبارة عن طرق ايصالية ، يستطيع الفرد بواسطتها ان يعرف نفسه إزاء الجماعة ، او الجماعة ازاء المجتمع (جسام1999،ص21). .ويفسر التعاقد الاجتماعي حسب فكرة يونك في اللاشعور الجمعي بكونه " الأوهام والأساطير والذكريات الفطرية لدى كل شخص والمنقولة اليه بالوراثة البايلوجية عبر الأجيال المتعاقبة منذ اقدم العصور الى اليوم ، مضافا اليها ما يطرأ من تطور على المعتقدات والاراء في مختلف شوؤن الحياة (خياط2001،ص41).

وبذا تؤسس **المنظومة الارثية** ركناً حيوياً في سلطة (المنتج والقاريء) المعرفية تعتمد على مدى استفادته من ارثه الثقافي المرتبط بمجتمعه الام من خلال الكشف والتحليل المنطقي لمركبات ذلك الارث حتى يتمكن من استثمار شبكة المفاهيم والرؤى والسلوكيات التي انتجتها تلك المنظومة في استقراء ماهية النص ، وهذا يساعد على فك مجموعة الرموز وقراءة الابعاد النفسية والرؤى الاسطورية التي استثمرت في تشكيل الجدار / النص .

اما اذا كان الجدار ينتمي الى بيئة مختلفة ويخضع لمنظومة ارثية تختلف عن المنظومة الارثية للقاريء فيتوجب عليه ان يمارس من خلال سلطته المعرفية نوعا من المقارنة الاولية بين مجموعة ثيمات وعقد يؤدي كل منها وظيفة معينة لتاطير بعد انساني او سلوك معين ، لان الحضارات الانسانية المختلفة وان نشاءت في بيئات جغرافية متباعدة ، تستخدم رموزا ودلالات متنوعة لتعريف احداثيات انسانية عامة تشترك بها كل المجتمعات الانسانية ، فالرموز المستخدمة لتدوين مفاهيم الخير والشر في مجتمعات الهنود الحمر تختلف عن الرموز والدلالات المستخدمة لتدوين ذات المعنى عند المجتمعات الشرقية القديمة ، انما المدلول العام في كل هذه التنويعات الدلالية يبقى ثابتا ، أي الخير والشر ، وبالتالي فالمتلقي لنصوص تنتمي لمنظومات ارثية مختلفة وكمحاولة اولى للاقتراب من شؤاطى تلك النصوص يحاول ان يستثمر تراكمه

الارثي في استشفاف بعض المفاهيم ضمن الاطار العام للنص واحيانا ينزع القارى الى عقد نوع من التقابل الدلالي للوصول الى حقيقة محددة ضمن بنية النص ، وبدون شك فان الغنى الارثي الثقافي والاجتماعي يشكل دعامة وركيزة مهمة ضمن سلطة القارى المعرفية التي تعتمد في تنفيذ آلياتها على المنهجية الدقيقة (عزيزالتميمي 2004،ص2).

وبذلك فالارث الاجتماعي لايحيل ، على لغة بعينها باعتبارها نسقا من القواعد فقط ، بل يتسع هذا المفهوم ليشمل الموسوعة العامة التي انتجها الاستعمال الخاص لهذه اللغة ، أي المواصفات الثقافية التي انتجتها اللغة ، وكذا تاريخ التأويلات السابقة الخاصة بمجموعة كبيرة من النصوص ، بما في ذلك هذا النص الذي بين يدي القارىء .

ان فعل القراءة يجب ان ياخذ بعين الاعتبار مجموع هذه العناصر حتى وان استحال على قارىء واحد ان يستوعبها كلها . وعلى هذا الاساس ، فان أي فعل للقراءة هو **تفاعل مركب** بين اهلية القارىء (معرفة الكون الذي يتحرك داخله القارىء) وبين الاهلية التي يستدعيها النص لكي يقرا قراءة اقتصادية (ايكو ، 2000ص86) . **مما سبق يظهر اثر الية المماثلة او المشابهة بالمقارنة بين المرجعيات الارثية التي يمتلكها المتلقي سواء اكان مصمماً او متلقياً كمحفز اول على ادراك وكشف البنى التصورية الاولى للجدار/ النص المقروء.فضلاً عن اهمية الاطلاع والاغتراف من الحضارات والثقافات الانسانية جمعاء لغرض اغناء الرصيد الفكري للمصمم والذي يمكن من قراءة النماذج الابداعية العالمية بصورة دقيقة وبالتالي تأسيسه لجدار نصي جديد يحمل فكراً يتسم بالعالمية والمحلية معاً .**

الجدار والفن:-

في لوحة حروف على جدران مهجورة، يركب شاكر حسن آل سعيد عدة ثيمات شعبية في آن واحد نذكر منها :-

أولاها..... تكوين عالم سحري – شعبي من ممكنات معاشة ويومية، تراها كما لو كانت مغبشة، وآتية من أعماق المدن التراثية أو بقايا الأكديين و السومريين والبابليين والآشوريين، تكوينات سحرية مشحونة بالشعر والاحتمال، غير قابلة على القياس أو التحديد، منطلقة في فضاء عراقي يدل عليه اللون الخليط بين المائي والترابي ومعلم عليه بإشارات ضوئية كما لو أنها أزمنة مضاءة عبرتها تلك الأشياء وتجاوزها واحتوت في تكوينها ما مر عليها، ثم تلك الخطوط التي تقطع جسد اللوحة من كل جوانبها مشيرة على تجريد هائل للممارسة التي قبلتها تلك الأشياء وحملتها معا في مناخ أسطوري – ديني تراثي .

ثانيها..... ثيمة الجدران المهجورة، الحاملة لتواريخ قديمة منسية، نزحت عنها المدنية والناس وتركوها في فراغ الظلمة والإهمال. على جدران زمننا العراقي..

ثالثها..... البنى الدينية الخفية التي تحملها الجدران، من أدعية النسوة، وقراءة التعاويذ في المزارات، وكتابة الأحراز ، هي أشبة بتماثيل الطين والعجين الفطرية التي تعملها النسوة في بيوتهن بانتظار زائر أو مسافر .

رابعها..... الخطوط المحفورة على طبقات الجدار، وهي ثيمة مبتكرة، بعضها غربي: بول كلي وبيكاسو وماتيس، ولكنها تتحول عند شاكر ليس إلى جمالية حروفية، ولا إلى البحث عن طاقة الحرف العربي التعبيرية، بل يبحث من خلالها عن المكنون الروحي لمستويات الجدار. فالحروف عنده طبقات ليست بمستوى واحد من العمق: جزء منها غائر وعميق فيكون بئرا زمنية مليئة بالماضي. وجزء منها منساب على السطح الخارجي، فيكون حساسيتنا بالمرئي. وجزء ثالث متقطع موصول ببقع لونية داكنة وكأنه، تراكمات زمنية وحالات شعبية مر عليها الزمن فانفصلت عن المسيرة لكنها بقيت كأي اثر قديم شاهد ودال.فيكون حياتنا بمختلف مستوياتها المعلنة والمخفية. وجزء رابع متعرج وكأنه يتجنب الاصطدام بأزمنة أو أمكنه معاصرة هي البعد الشعبي الفردي الذي لم يزل موجودا ومؤثرا رغم كل التقدم الذي أصاب اللوحة الفنية وجردها من الفردية والتجزيئية.

وثمة خط آخر مختلف عن الأول، جزء منه مخفي تحت اللوحة يسندها ويغمر تسعة أعشار اللوحة وكأنه يسحبها للأعماق إلى تلك الأمكنة والأزمنة التي تراكمت فيها الكتل والألوان الترابية والمائية والأضواء البيض والبقع السود والحمر كخطوط غائرة في أعماق الذاكرة الشعبية لتشكل سداه ولحمة اللوحة.ونجد تأثيرات ألف ليلية وليلة واضحة في هذه الأبعاد.

خامسها..... يجسد شاكر حسن آل سعيد بصمه جدار مرتبط بالقرية في أحضان مدينة، وهي بصمة مرئية بصرية، لها حضورها المرئي، وألوانها المستقرة، وهيكليتها العبثية، في حين يكون الجدار هو الفاصل الوثيقة بين قرية ما تزال قائمة في المدينة، ومدينة غير ثابتة في بنية القرية، وما يفعله شاكر في بصمه هو أن يقول لنا: أن الحياة ليست كلها حداثة، وان الحداثة لا ترفض القديم، لكن الحياة والحداثة تحتاجان معا إلى رائي كوني ، وهو ما يجعل المفردات الصغيرة كالجدران حاملة لنوى الحداثة.(ياسين النصير ،2002).

هنا نجد انه على المتلقي أن يعرف أنه أمام جدار تتراكم عليه تواريخ العراقيين الشعبية، وفي هذه التواريخ رغم تلازمها ، هي بنية معرفية متراكمة في الروح العراقي.

كما ان توجه جواد سليم في جدارية نصب الحرية كان منصبا"على التقاط رموز المواضيع الشعبية لانه اخضع الكثير من مفرداتها الى رؤيته وتعامل معها ببساطة واقتصاد وبوحدات واشارات مختزلة ذات رموز ودلالات فكرية انسانية مرتبطة بالحياة الاجتماعية. فالتجربة الفنية التي توفرت شروطها الفكرية ستشير بوضوح الى اساسيات العناصر الاجتماعية وترضخ حركة الشكل اليها وتصعد من نمو الموضوع فالمضمون نحو المحتوى الانساني الاشمل)) (الربيعي 1987) .

يفرز النص السابق عن سمة الايحائية والبساطة والاختزال واثر المرجعيات الاجتماعية كأحد مهيمنات البنية القصدية في انتاج الجدار الفكري.

الجدار والعمارة :-

استخدم لوكوربوزيه منظومة ما سمي "بالفضاء المنساب"، بشكل واسع في المعالجات التكوينية لفيلا سافوي فهو هنا ينزع بصريا إلى توحيد فضاء الغرفة الرئيسية (غرفة المعيشة) في الطابق الأول مع الشرفة المفتوحة الواقعة بجوارها، إذ أن الجدار الفاصل بينهما المعمول بأكمله من الزجاج لا يعرقل الإحساس بالإدغام والتوحد بين الشرفة المفتوحة وغرفة المعيشة المسقفة من ناحية آخرى، كما وسعى لوكوربوزيه إلى ترتيب مكان خاص للتشميس في سطح الفيلا، وإحاطة بشاشة عريضة ذات شكل ملتوي وهذه الشاشة/ الجدار الرقيق تدرك من الخارج كأسطوانة بيضاء كبيرة جعلها المعمار عنصرا أساسيا في التكوين الحجمي للفيلا، مخففا بذلك من صرامة الهيئة الأساسية ذات الزوايا المستقيمة(ابو بكر ، نت) .

وتبدو " الاطروحة " الجادرجية المعتمدة في بعض مرتكزاتها على " اختلاق " جدار آخر ، لواجهة " ثانية " تنويعا جاداً لتلك المفاهيم التى شاعت في الستينات ، والمتأثرة كثيرا بطروحات " لويس كان " . ففي مبانٍ عديدة مثل مبنى " اتحاد الصناعات العراقي " ببغداد (1966) ، ومبنى " شركة التأمين الوطنية " في الموصل (1966) ، ومبنى " فرع مصرف الرافدين " ببغداد (1967) ، و" عمارة الشيخ خليفة " في المنامة / البحرين (1969) ، و مجمع " مجلس الوزراء " ببغداد (1975) بالاضافة الى مشاريع تصاميم لم تنفذ مثل مبنى " القصر الجمهوري " ببغداد (1967) ، و" المصرف الوطني " في ابو ظبي (1970) و " مجلس الامة " في الكويت (1972) و " المبنى الاداري " في دبي (1975) وغيرها من المشاريع المنفذة وغير المنفذة ، يحضر في جميعها مفهوم : مبنى داخل مبنى " الكانوي " ذائع الصيت حضوراً بليغا في تكويناتها.

بيد ان معالجات الجدار " الاخر " المؤسس للواجهة " الثانية " في جميع تلك المشاريع مشغول باستدعاءات هيئاتية متنوعة، مستلة من مصادر " فورمات "البيئة المبنية المحلية ويراد بها ابراز تعاطف المعمار مع خصوصية شواهد المكان . ولم يكن اسلوب انشاء " جدار آخر" هو الاسلوب الوحيد الذي تعاطى معه الجادرجي في ايجاد حل للمشكل المناخي .

فثمة تصاميم عديدة انجزت بالتزامن مع اطروحة الجدار الاخر ، ومعظم تلك التصاميم كانت تستحضر اسلوب ما كان يدور داخل ورشة الممارسة المعمارية العالمية ، والتى ظل رفعة الجادرجي احد متابعيها المجدين (السلطاني. نت).

ويشير الجادرجي في طرح فكرة الأشكال كرموز للإنسان والتي تصبح جزء من هوية الإنسان وإحساسه بالانتماء من خلال استقرار هذه الرموز فبقدر ما يعد الطرفان المتعاملان مع الشكل بأنه مقوم لهويتهما فانهما من هذا الموقع يشتركان في

فهمهما وتقييمهما للشكل كرمز لهما (الجادرجي ، ص147).

يلاحظ اهمية الرمز الاجتماعي في العمارة كرمز مهم معبر عن شخصية الفرد الاجتماعية وهذا يتاثر ببعد الاستقرار للمجتمع والفرد وبالتالي على انتاج الجدار/ الرمز الذي يستثمر في البنية التكوينية للعمارة كونه مطلب جمعي مهم ضمن انتاج هوية الفرد او المجموعة باعتماد صورة ذهنية خاصة لدى المتلقي ملقياً الموحية كمفردة معمارية موازية في دلالتها للرمز او الشكل الرمزي مع طرح واضح لتاثير مدى الدلالة التي توفره هذه الموحيات بين (فهم وانقطاع) اعتمادا على المرجع المعتمد .

ان الهدف من دراسة قصدية اللغة المعمارية ، باعتبارها نظام اشارات مختلف عن نظام اللغة العام ، وهو تمييز لخصوصية اللغة المعمارية في حال عدم وجود وفاق اجتماعي على معانيها.اذ ان اهمية الاجماع العرفي إلى اللغة او (الاتفاق الاجتماعي Social contract) يجعل العلامة اللغوية قيد الفهم وبالتالي يحقق الاجماع على اللغة ومعناها، وهذا ما تفتقد اليه اللغة المعمارية (اذ لا اجماع فيها على المعاني) مما يميزها عن اللغة الاعتياديـة(برودبنت1996,p127).

ويربط schulz ايضا بين الهوية الرمزية للعمارة figurative identity كهدف وبين الرؤيا الشمولية للعمارة كوسيلة لتحقيقها .اذ يعتبر لغة العمارة لغة شمولية بدونها وبدون التسلسل الهرمي لهذه اللغة تفقد العمارة هويتها كوسيلة للتعبير .فالعمارة برايه تعبر عن الانسان والطبيعة ،والبناء الا اناء جامع للمحتوى الرمزي للاجزاء.(Schulz, 1990, p7).

وان حقيقة كون العمارة كونها جزأ من النتاج الحضاري الذي يحمل معاني رمزية دلالية تعبر عن واقع يمكن ان يندرج ضمن عمليات تحقيق الذات self actualization.

التي يصنفها MASLOW في اعلى هرم الحاجات الانسانية .لذا نجد ان العمارة بالاضافة الى كونها تحقق وتقدم الحاجات الاساسية للانسان فهي توفر ايضاً للانسان والمجتمع قيمأثقافية واجتماعية متميزة تحقق الذات او الشخصية من خلالها.(خياط,1995,ص4-5).

اليات التعامل مع الجدار

1- <u>الجدار والحدث :-</u>

الاحداث هي سلسلة **افعال لرؤى متنوعة بين العلاقات واشكالها والمصادر وتنوعاتها** في الموضوعات عبر الزمان والمكان والتصورات والاتجاهات في حقول مختلفة كالتاريخ ، الفلسفة ، وغيرها ، التي تتخذ من شكل التفاعل والتعرف على صورة الذات عبر صورة الاخر او التعرف على صورة الاخر عبر الذات لابداع مناطق بحث متميزة (حمامة،2000 ،ص38). وهذا ما جعل الصفدي يصف الحدث كونه الصيغة او الشكل أو ما يبتديء به الشيء ، (أنه ما يحدث) فليس الشكل هو المهم : ليس هو الصورة التي تبرز فان ما يحدث يثبت اساسا بواقعيته وراهنيته ، وكل ما يحدث يقع في الزمان يتبجس هكذا مما يكن بعد لكنه كان يكون . وارتباطه بالواقع والزمان يقدم له تصورا لمفهومه ذاك ، ان كل ما يحدث ياتي بالمستقبل وبالتالي فالمستقبل عندما يكون كامنا فيما يسبقه فأن كينونته المستقلة عن كل ما تقدم عليه ، تخضع لشكلانية المنطق او لدلالة الظهور فهي بذلك حدثيته.(الصفدي ، ستراتيجية التسمية ، ص249). وان كل حدث جديد هنا يضاف الى بنية النظام المفتوح يؤدي بعدها الى حدوث نوع من التغير بالطاقة في ذلك الموقع من المكان والزمان فيدخل الى النظام ويعمل على تغيير علاقاته الداخلية، والتي تكون في حالة توازن نسبي وسوف تعيد جزيئات هذا النظام ترتيب نفسها بعلاقات جديدة مختلفة عن سابقاتها في التوازن الاول ولكنها في النهاية تعود لتستقر ولتبدأ باستقبال دفعة جديدة من الطاقة فما يضاف يصبح جزءاً من هذا المكان، فالغرض من الاضافة هو تغيير قيمة المكان الحامل لقيمة معينة (فالصورة الجديدة تعطي اشعاعا يعرف ما حولها ويقدمه بصورة جديدة وبدرجات مختلفة) (Meiss,1996,P. 93)

وبهذا يكون الحدث منفصل متصل يشترط حدوثه مجموعة شروط منها المكان كمتصل منفصل في علاقته مع الحدث ... فالزمن في سيرورته المتصلة ينفصل بفعل الحدث والمكان في سيرورته المنفصلة يتصل بفعل الحدث.... فالحدث

اذن يفعل فعله القائم على ذاتية اكتسبها من فاعله وتطورت في سياقها ، وهو ناتج لسلسلة طويلة من الاداور التي يلعبها ليغير بذلك مجرى النص في كل مرة تعاد قراءته فهو بذلك دائم الولادة ليخلق ويعاد خلقه مرات عدة.وهو احدى صيغ التمثيل المادي الذي يستدل من خلاله وفي نفس الوقت يمثل مصدراً لكشف الحقيقة الكامنة بذلك يمثل الحدث نقطة التقاء العلاقات الداخلية لكيان فعل مؤثر مع مؤثرات علاقات المحيط الخارجية،ويمر الحدث بالمراحل الثلاث كونها نظاما موجود بمستويين ضمني و بيني في هيكلية الافعال المنتجة للاحداث.

2- الجدار واليات التراكب والاقحام :-

تنتج من تداخل الأنظمة والافكار والجمع بين التقاليد المستمدة من الثقافات والحضارات المختلفة والمتباينة، من خلال ايجاد لغة حوار مستمر بين المستويات فمشروع جومي في دي لافيليت اعتمد على توظيف ثلاثة مستويات مختلفة من نقاط وخطوط وسطوح يهدف الى ايجاد تصميم مركب وبديل لمركزية التقاليد الغربية اضافة الى ايجاد ناتج استثنائي ذي نسق جديد وتكوين متراكب وجامع لتلك الحقب التاريخية مؤسسا بذلك معلما في السلوك الفرنسي مع بعض الغموض المقصود من خلال الانفصالية بين الافكار المختلفة التي ظهرت في الشكل النهائي للمخطط(Meiss,1996,P. 114) .

فالفكرة هي اعادة صياغة النماذج (مسبقة التصور) بطريقة إبداعية بخرق قواعد الأنظمة السائدة وانتهاكها لطرح مفاهيم جديدة، تؤسس سبلا تواصلية جديدة تؤكد ان تفكيكية دي لافيليت يثبت ويبرهن بان المنهج العشوائي لا يضمن ولا يكفل التعقيد والغموض .

ويلاحظ ان الالية التي يقترحها Graves في أعماله للتعامل مع لغة العمارة ومفرداتها هي تفكيك لغة العمارة والثقافة السابقة واعادة تأسيس ترابطات موضوعية بين المفردات بصورة مبتكرة تتماشى مع ثقافتنا الحالية، وبهذا تستطيع ثقافة العمارة ان تكون ممثلاً لتقاليد المجتمع وشعائره وهي محاولة لاستبدال الحداثة اللارمزية بمصطلحات رمزية لاحياء العمارة كتعبير عن كونها (رنين الإنسان والطبيعة) لذا يستخدم Graves البناء لجمع المحتوى الرمزي للاجزاء والهدف من ذلك الوصول الى الشكل الشعري وبالتالي الى لغة معمارية جديدة (Schulz, 1990, p.8).

فالعمارة لابد ان تقوم على انتقاء للاحتمالات المختلفة ، بترجيد بعض من سماتها او مظاهرها في وحدة تامة ذات معنى (Schulz1981,p183).والتي تهدف الوصول لحلول ذات قيم عامة تلبي متطلبات مشتركة بوسائل مقبولة للادراك والمشاركة. وتحقيق شمولية مكانية بخصائص تجعل الحل رمزا مشتركا مرتبطاً مع النظام المعماري ومميزا بوضع حضاري معين ، والتي رغم اختلافاتها لكنها مسبوقة بكلية يصفها بانها سحرية غامضة (Schulz1981,p186).

وبذا ساهمت الية التراكب والاقحام في استلال المتشابهات والمتناقضات من خيوط التاريخ والتقاليد والثقافة والبيئات المجتمعية واعادة نسج العناصر ضمن وحدة تكوينية تؤسس لغة معمارية تطرح مفاهيم حضارية جديدة

3- الجدار والية التناص :-

تمتاز النتاجات الادبية الحديثة بالتلميح الى نصوص غائبة ضمن مترادفة الظاهر والخفي، والتصريحي والتلميحي – مجسدين علاقة الحضور المتزامن لعدة نصوص داخل النص الحدث الجديد تسميها الدراسات السيميولوجية بالتداخل النصي أو التناص " lintertexte المراد بها علاقة موجودة بين نص أدبي وأعمال أخرى سابقة تساهم في فهم النص الحدث استناداً إلى مبدأ التناصية (lintertextualité" التي تتجسد في إدراك القارئ للعلاقة التي تجمع بين النص الحدث والنص الغائب أو المستحضر بشكل خفي. وهذا ما تنشأ عنه القراءة التأويلية التي تساهم في إنتاج الدلالة الأدبية او النص الموازي التي تختلف عن القراءة الخطية التي لا تنتج غير المعنى فقط (**Gerard, 1982**).

يلاحظ ان العمارة التفكيكية تعاملت مع عملية التراكم باعتبارها آثار **وأن النص المعماري هو كتابة لموضوع** ما وليس إلصاق صور الماضي والموروث، وبذلك أشرت نقاط التحول من مفهوم التناص في عمارة ما بعد الحداثة والمعتمد على تراكم الصور والرموز الماضية إلى توجهات ومفاهيم ما بعد البنيوية المعتمدة في العمارة التفكيكية، تحولا في مفهوم التراكم

نفسه، فابتعد عن تجميع صور الماضي المعتمد على بنية التشابه الظاهرية بين المفردات، إلى تراكم يعتمد على بنية الاختلاف، والتعامل مع النصوص السابقة كآثار تفتح مجال الحوار والتأويل الخاطئ من قبل المتلقي، مما يؤدي إلى تعدد القراءات وبذلك يبتعد التناص عن التكرار المتطابق السهل للنصوص السابقة باتجاه تراكم آثار النصوص .

اوجد النص المعماري المعاصر لغة الحوارية مبنية على الاختلاف نتيجة استحضار كوامن متناقضة يشار اليها بعناصر تكوينية تولد ايحاءات نحو نصوص غائبة توازي المعنى الظاهري المقروء وتؤسس دلالة زمانية ومكانية قابلة لقراءات متعددة .

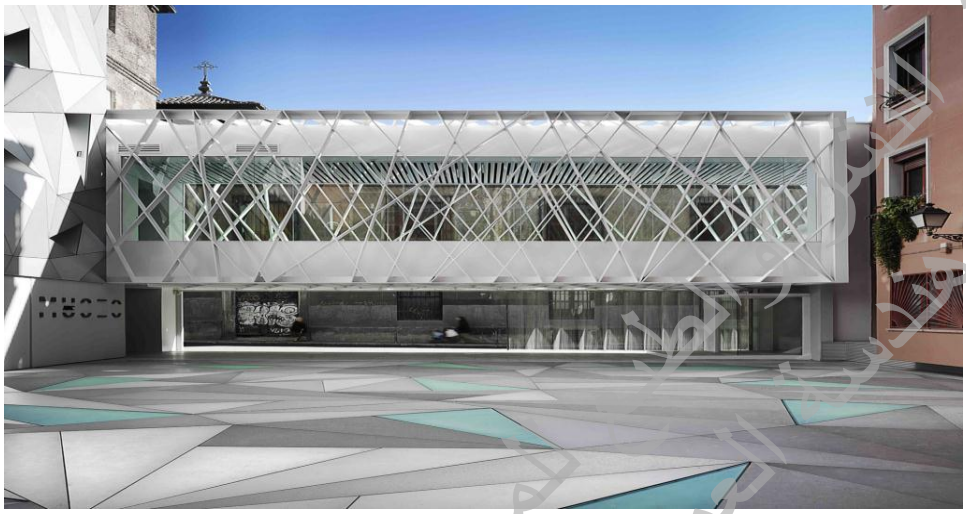

4- الجدار والية الاختلاف :-

استخدام تراكب وتجاور عدة أنظمة في آن واحد، واستخدام عدة أساليب كاللصق، التراكب، التجاور والانتقائية الجذرية لتحقيق التنوع، يسبق هذا التنوع، الاختلاف، فالاختلاف هو الكثير more is difference. وان قراءة تقاليد العمارة وإعادة تركيبها في اندماجات متعددة تؤدي الى انتاج نسيج لخليط من الانقلاب، التموج، الإقحام كحركة مستمرة .. لخلق عمارة معقدة تعتمد على التراكم وليس التكرار. (مثلا في مشروع دار الأوبرا في طوكيو للمعماري تشومي (Tshumi) استخدام مبدأ التراكم باستثماره للخصائص (الفكرية) والأشكال معا في وقت واحد من خلال بدء المعماري من الموسيقى القومية واقتباس نوته معينة (خصائصها) واستخدام تشبيهات متراكمة ترتبط بنفس المجال كالسلم الموسيقي، العصا والتي تعبر عن منصة الاستماع في المسرح (الأشكال) .. كما في الشكل 2

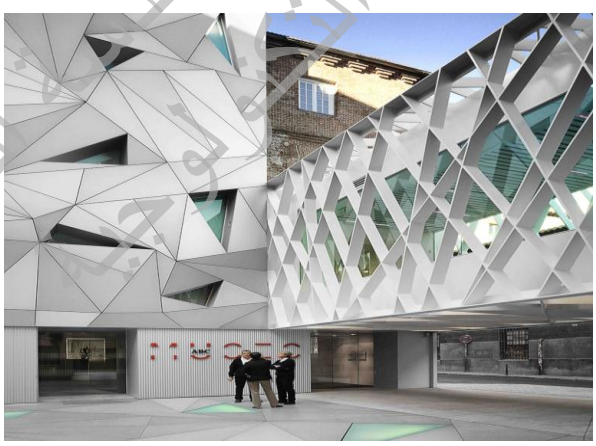

(الشكل 2)

Uniquely Unexpected: Aranguren and Gallegos Museo ABC Madrid

5- الجدار والية المفارقة :

تشير دراسة ال كريزة إلى طبيعة توظيف الجدار وفق الية المفارقة والمطروحة في مشروع Iqualada cemeteryللمعماري إنريك ، بأنه تجميع لعدة منظومات فكرية مأخوذة من سياق الموقع وطبيعة وظيفة المشروع ، فمخطط الموقع يشير أولاً إلى هيئة إنسان طائر، وقد يكون ملاكاً، وقد يكون مأخوذاً من إعادة الحياة للمسيح (ع)، ويدل

على الصليب المضخم، والعلاقة بينها كتركيب نهائي للمشروع، تثير التساؤلات وتدفع باتجاه اكتشافها ..

كما ان المشروع يتعالق مع مقبرة مودينا لألدو روسي وينتمي إلى كنيسة رونشامب في فرنسا في نفس الوقت، وان البنايات تشبه زومبيات بيت الدو روسي. (الزومبي: هو الميت العائد للحياة بالقوة الفائقة للطبيعة حسب الأسطورة الأفريقية) فنلاحظ هنا محاولة تكثيف المعنى بزيادة المدخلات على الواح الجدران سواء كانت شكلية أو فكرية، بهدف استثارة المتلقي والدخول في حوار معه . (ال كريزة – اطروحة المفارقة)

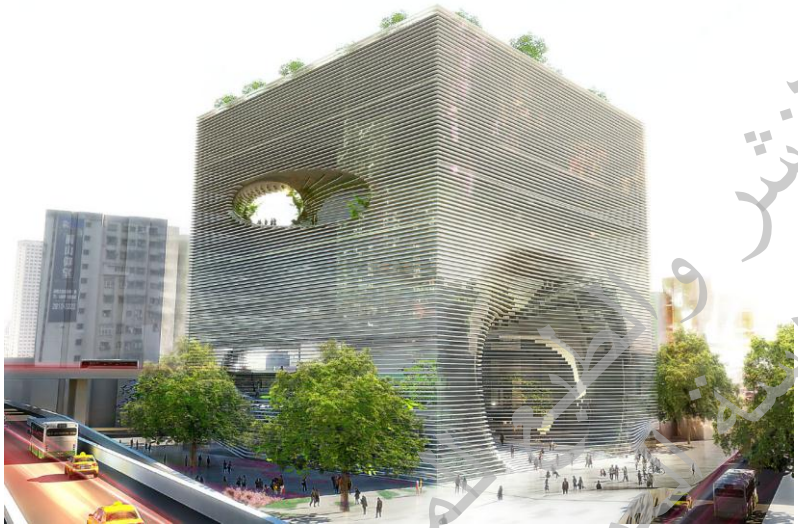

The Bjarke Ingels Group (BIG), a firm based in Denmark

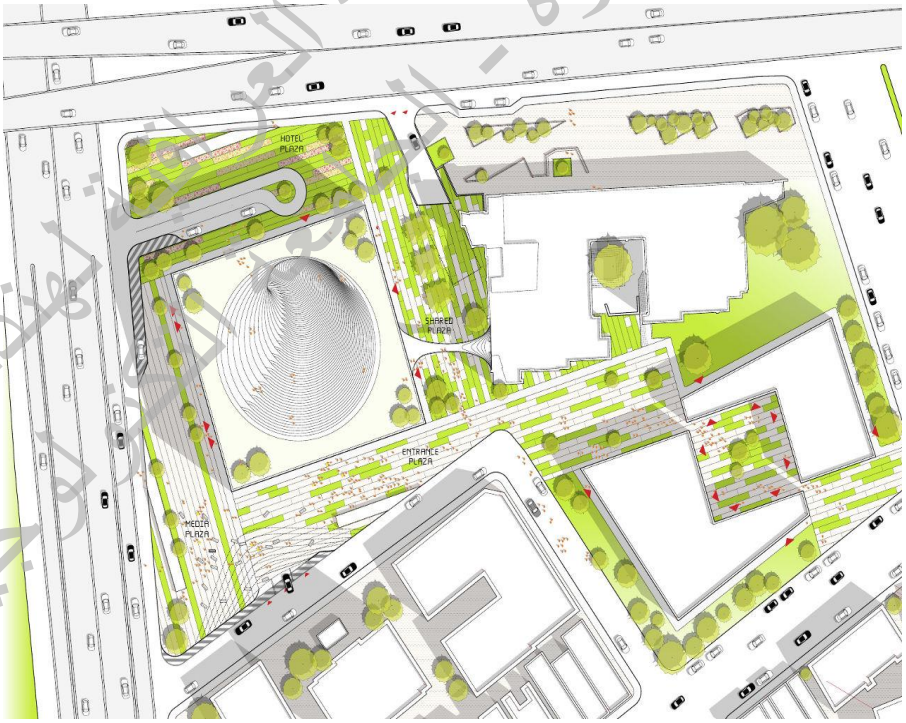

الاستنتاجات

- تمثل قراءة الجدار الفكري او المحمل بمنظومة رمزية او دلالية ، محاولة لانتاج رؤية محددة تجاه اليات انتاج النص وان لحظة ترويض النص تبدأ مع الادراك الاول لاشاراته التي تأتي مع تنامي الرغبة في التواصل ، اللحظة التي تلامس البنى الخارجية للجدار وتتحرى الهيكلية المفصلية للنص ، فتاتي لحظة تثوير المعنى بشكله المبسط ، وربما هي

حقوق النشر محفوظة لمجلة العمارة والفنون لهندسة العمارة - قسم هندسة العمارة

محاولة اختبارية لعوالم النص وتاكيد لادوات القراءة ، تنبع من التواصلية مع النص يجب ان تكون مدعومة برؤية واضحة للنبش في خبايا النص ، رؤية ممنهجة لاعشوائية تخترق حدود الجدار .

– العمارة هو الفن الوحيد الذي يرغم نتاجاتِه الإبداعيةَ على تلبية وظيفة عملية مباشرة (مادية أو روحية) يقدم جداره الحماية (في مواجهة الطبيعة) في العمارة المدنية، والإيحاء بالجبروت (أمام الأعداء) في العمارة العسكرية، وإخضاع المقيد الجزئي للمطلق الكلّي (أي الإنسان لله) في العمارة الدينية – مما يجعل المعماري مرغمًا على الاستجابة لضغوط الغائية وشروط العرض والطلب لضمان إنجاز هذه الوظيفة الأولويةَ في الوعي الإبداعي للفنان المعماري، بما هي وظيفة لا يمكن له تجاوُزها أو تأجيلها إلا على سبيل الاستثناء النادر. و العمارة هي الفن الوحيد الذي يتعامل مع مواد أولية ذات هياكل ضخمة، ومع روحية صارمة تتضارب مع روحية الفن الرحيمة . فالحرية التي توفِّرها الصخور والجذوع والألواح الكونكريتية (الإسمنتية المسلَّحة) هي حرية حبيسة ؛ كما أن المساحة التي يتحرك عليها الجمالي هي دائمًا محدودة، سواء كانت خارجية أو داخلية، في موقعها ضمن العمل الفني وهذا يضيف محددات جديدة على عملية الابداع في التعامل مع الجدران .

– أن لكل بلد جداراً– هويةً يحمل ملامحه، ويؤكد خصوصيته في التعامل مع الحداثة أو غيرها، وصحيح أيضا أن هذا الجدار لن يبقى ثابتا على ثيمات قديمة محددة، وصحيح أيضا أن الجدار الفني لا يغلق نوافذه على الشعر و العمارة و التصميم و المسرح و على الفنون المكانية الأخرى، لكنه في كل مراحل تطوره وهو يجدد نفسه لا يتجاوز ما أنجز من خارج مفردات ذلك المنجز، فالتطور يأتي هنا من قبول المنجز القديم لمفردات تحديثية جديدة وليس التحديث إلغاء لما أنجز. فالتجديد ليس قفزة إلى الأمام دائما، بل هو فهم جدلي للعملية الفنية بشروطها الموضوعيه والذاتية وهي شروط يستشعرها المبدع بلون أو كتلة أو خط لم تنجز على الوجه الأكمل في الأعمال السابقة في جداره الجديد.

–. أن جدار الابداع العراقي، جدار منفتح على الرياح القديمة، وعلى التجريب، على المحلية حيث ينهل من ثقافتها وأشكالها، وعلى العالمية حيث يتأثر بثوابتها وتياراتها. جدار أقل ما فيه أن لغته الفنية تتجاور مع ما حولها من لغات ثقافية عراقية لتؤسس رؤية ترتبط بتطور الحداثة في مختلف شعبها : المدنية والثقافية.

– أن منظومة الرمز/ الجدار لا تؤلف لغة وهي ترفض ان تحيل الى أي مجال خارج عن موجتها الاهتزازية او خطوطها التسجيلية ان لم تتوفر ثمة منظومات من الدلالات المقابلة لها يمتلكها المتلقي قابلة للقراءة او الادراك ...ولايمكن تاويل النص الا باسترجاع السياق الدلالي والبيئي والانثروبولوجي العام الذي نما وترعرع فيه نص ذلك الجدار.

– عند قراءة جدران فكرية تنتمي لمنظومات ارثية مختلفة وكمحاولة أولى لفهمها يجب استثمار الرصيد الارثي المتراكم في ذهن القارىء في استشفاف بعض المفاهيم ضمن الإطار العام للجدار والنزوع إلى عقد نوع من التقابل الدلالي للوصول إلى حقيقة محددة ضمن بنية الجدار ، وبدون شك فان الغنى الارثي الثقافي والاجتماعي يشكل دعامة وركيزة مهمة ضمن سلطة القارى المعرفية التي تعتمد في تنفيذ آلياتها على المنهجية الدقيقة..

المصادر:–

- **السلطاني ، خالد ، انترنت ، مقالات ،ksultany@yahoo.com.**
- **بكر ، أبو بكر ؛ بحث منشور (الانترنت)** http:// www.quds.ir/more.php / Al Moqatel **،2009.**
- **الجادرجي، رفعة، "حوار في بنيوية الفن والعمارة"، رياض الريس للكتب والنشر، لندن– قبرص، (B) 1995.**
- **الديراني، سليمان, قضايا ما بعد الحداثة في الأدب والنقد"، ما بعد الحداثة ,مجتمع جديد أم خطاب مستجد– الفكر العربي ، العدد 28،خريف 1994.**
- **النصير ، ياسين ، (عنف الفرشاة – مقالات في الفن التشكيلي ، رمزية الجدار في الفن)، الفكر العربي ، العدد 16 ،2002.**

- ايكو ، امبرتو (التأويل بين السيميائيات والتفكيكية) ترجمة سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000
- الربيعي، شوكت" الفن التشكيلي المعاصر في العراق-جواد سليم" ؛مجلة افاق عربية العدد 12 ؛ -بغداد 1987.
- عزيز التميمي ، منظومة القراءة سلطة القارى، انترنيت.2004.
- الصفدي ،مطاع،"ستراتيجية التسمية في نظم الانظمة المعرفية "،دار الشؤون الثقافية العامة،العراق-بغداد،1986
- الخياط، محمود احمد؛ "الاعراف المعمارية ، دراسة في بنية المضمون"؛ اطروحة دكتوراه قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية، بغداد، 2001.
- الكريزة، عباس علي حمزة ؛ "المفارقة في العمارة "؛ اطروحة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنولوجية، بغداد، 1999.
- حمامه,ياسمين غسان,عمارة الحدث (النظريه والتطبيق), رسالة ماجستير ,الجامعه التكنولوجيه,قسم الهندسه المعماريه,2001.

* palimpsests, Gérard Genette, p.9 et la trace de lintertexte Michael riffaterre, la pensée, N 215. p4, 1982.

*Meiss, Pierre "Elements of Architecture, from form to place" Von Nostrand Reinhold, (International), FNSPON Publishers, London, 1996.

*Michael Graves ,Building and Projects , princeton Architectural ,press, USA, 1990.

*Schulz, Christian Norberg ,"Meaning in Western architecture " the M.I.T., Praeger Publishers,u.s.a. 1986.

-schulz,Norberg Christian"Michael Graves and The Language of Architecture"in Public Space That Doesn't Suck: Bjarke Ingalls Group's (BIG) TEK CenterFeatured Written by Murrye Bernard

حقوق النشر والطبع للمحفظة العراقية لهندسة العمارة - الجامعة التكنولوجية